مجلة سوسيولوجيون P-ISSN: 2716-9170
المجلد: **السابع**، العدد: **01**، السنة **2026** E-ISSN: 2773-3459

من الذكاء الاصطناعي إلى الذكاء التوليدي: قراءة في تحولات المصطلح ودلالاته المعرفية

From Artificial Intelligence to Generative AI: A Reading of the Transformations of the Term and its Cognitive Implications

مبروك بوطقوقة[1]، مخبر الموسوعة الجزائرية الميسرة، جامعة باتنة 1، الجزائر
boutagouga.mabrouk@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/02/14 **تاريخ القبول: 2026/07/30** **تاريخ النشر: 2026/07/31**

ملخص:

تجادل هذه الورقة البحثية بأن الانتقال المفهومي من الذكاء "الاصطناعي" إلى "التوليدي" يتجاوز كونه مجرد تحديث خوارزمي ليؤسس لقطيعة إبستيمولوجية وسوسيولوجية عميقة. فبينما ارتبط "الاصطناعي" تاريخيا بمقاربات المحاكاة ضمن قواعد منطقية صارمة، ينفتح "التوليدي" على عوالم الاحتمالية والفضاءات الكامنة. تسعى هذه الدراسة، المستندة إلى الأنثروبولوجيا الرقمية، وفلسفة التقنية، والاقتصاد السياسي، إلى تفكيك هذا التحول ومآلاته الوجودية. وتبين الورقة كيف تتحول هذه النماذج إلى أجهزة أيديولوجية تمارس "الاستعمار بالبيانات" و"العنف الإبستيمولوجي" عبر تسطيح الثقافات المحلية (كالزخرفة الإسلامية) لصالح معيارية معولمة تخدم احتكارات البنية التحتية لشركات التكنولوجيا الكبرى. وتخلص الدراسة إلى أن تفكيك مفاهيم كالمؤلف والإبداع، يفرض على مؤسسات إنتاج المعرفة ضرورة تجاوز دور "المستأجر الأكاديمي" لممارسة "مقاومة إبستيمولوجية" تهدف إلى تحقيق السيادة المعرفية الرقمية وحماية السرديات المحلية من التنميط الخوارزمي.

الكلمات المفتاحية :الذكاء التوليدي، الإبستيمولوجيا الرقمية، الاستعمار بالبيانات، احتكار البنية التحتية، الفضاء الكامن، السيادة المعرفية.

[1] المؤلف المرسل

Abstract:

This research paper argues that the conceptual shift from "Artificial" to "Generative" intelligence is not merely an algorithmic update, but a profound epistemological and sociological rupture. While "Artificial" intelligence historically relied on simulation within rigid logical rules, "Generative" intelligence unlocks probabilistic realms and latent spaces. Grounded in digital anthropology, the philosophy of technology, and political economy, this study deconstructs this transition and its ontological consequences. The paper demonstrates how these models function as ideological apparatuses that exert "data colonialism" and "epistemological violence" by flattening local cultures (such as Islamic Arabesque) in favor of a globalized normativity that serves the infrastructure monopolies of Big Tech. Ultimately, the study concludes that the dismantling of concepts like authorship and creativity compels knowledge-producing institutions to transcend the role of "academic rentiers" and engage in "epistemological resistance." This aims to achieve digital cognitive sovereignty and protect local narratives from algorithmic stereotyping.

Keywords: Generative AI, Digital Epistemology, Data Colonialism, Infrastructure Monopoly, Latent Space, Cognitive Sovereignty.

مقدمة:

تعد التحولات الاصطلاحية في تاريخ العلوم مؤشرات جوهرية على تغير النموذج الإرشادي (الباراديغم) الذي يحكم رؤية الإنسان للعالم وتعامله مع أدواته. إن الانتقال من وصف الذكاء بكونه اصطناعيا إلى كونه توليديا لا يمثل مجرد ترقية تقنية في البنى الخوارزمية، بل يشكل قطيعة إبستيمولوجية تعيد تشكيل علاقة الذات البشرية بالمعرفة والإبداع والقصدية (باشلار، 1981) فبينما كان مصطلح الاصطناعي يحيل تاريخيا إلى فكرة المحاكاة ضمن براديغم القواعد الصلبة يحيل التوليدي

إلى مفاهيم الاحتمالية والقدرة على التخليق الرقمي من خلال التعلم العميق. هذا التقرير يسعى لتفكيك هذه التحولات من منظور معرفي وتقني واجتماعي مستندا إلى أدبيات فلسفة التقنية والنقد الرقمي المعاصر.

1. في مفهوم القطيعة المعرفية والتحول البراديغمي

لم يعد الذكاء الاصطناعي مجرد حقل فرعي من علوم الحاسوب بل أصبح بنية أساسية تعيد تشكيل الواقع الإنساني أو ما يسميه لوتشيانو فلوريدي الغلاف المعلوماتي (Infosphere) (فلوريدي، 2017) والإشكالية العميقة التي تواجه الباحثين اليوم تكمن في اللغة المستخدمة لتأطير هذه التقنية، فقد هيمن مصطلح الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence) لعقود حاملا معه إرثا ثقيلا من محاولات مقاربة السلوك العاقل من خلال القواعد والرموز. ومع ذلك فإن صعود النماذج اللغوية الكبيرة (LLMs) أحدث انزياحا لغويا ومعرفيا جعل من صفة التوليدي المبتدأ الجديد في كل خطاب تقني.

وفقا لمفهوم غاستون باشلار حول القطيعة الإبستيمولوجية فإن العلم لا يتقدم من خلال التراكم البسيط بل من خلال تدمير المعارف القديمة التي تحولت إلى عوائق أمام التفكير (باشلار، 1981) الانتقال نحو التوليدي يمثل قطيعة مع المعرفة العامية للذكاء الاصطناعي كآلة حتمية والدخول في عصر الاستدلال الاحتمالي حيث لا تعيد الآلة إنتاج ما تعلمته بل تولد منه احتمالات جديدة. هذا التحول يضعنا أمام ضرورة فحص العوائق الإبستيمولوجية التي تجعلنا نصر على مقارنة الآلة بالدماغ البشري وفق منطق المحاكاة القديم ((Abdoul, 2025.

1-1. تشريح الاصطناعي وحدود المحاكاة

لفهم عمق المنعطف التوليدي يجب أولا تشريح الجسد المعرفي لمفهوم الاصطناعي. تاريخيا ارتبط الذكاء الاصطناعي بفكرة الآلة التي تتصرف كما لو كانت ذكية وهو ما أرساه آلان تورينج في ورقة آلات الحوسبة والذكاء عام 1950.

استبدل تورينج السؤال الفلسفي المعقد هل يمكن للآلات أن تفكر؟ باختبار إجرائي براغماتي هو لعبة التقليد (Imitation Game)، في هذا الاختبار لا يهم الجوهر أو الوعي الداخلي للآلة، إنما المعيار الوحيد هو الخداع الإيجابي الذي مفاده أنه إذا استطاعت الآلة إقناع محاور بشري بأنها بشر فهي ذكية إجرائيا (Turing, 1950). رسخ هذا الطرح من الناحية الابستيمولوجية مصطلح الاصطناعي كدلالة على الزيف الوظيفي أو البديل، تماما كما نتحدث عن الأطراف الاصطناعية التي تحاكي الوظيفة الحركية للطرف الطبيعي دون أن تمتلك حياته الحيوية.

لقد كان الذكاء اصطناعيا لأنه مستمد من الخارج، أي من قواعد وضعها الانسان المبرمج، فالآلة هنا هي مرآة تعكس ذكاء صانعها ولا تمتلك قدرة داخلية للتوليد. هذا البراديغم الذي ساد في الفترة ما بين الخمسينيات والثمانينيات اعتمد بشكل أساسي على المنطق الرمزي.

واجه البراديغم الرمزي نقدا فلسفيا عميقا من جون سيرل في تجربة الغرفة الصينية عام 1980 والتي تعتمد على فرضية مفادها أن يحبس شخص لا يجيد اللغة الصينية في غرفة، ويقوم بمعالجة نصوص صينية بناء على كتاب تعليمات يخبره بكيفية الرد دون فهم المعنى. بالنسبة لمن هم خارج الغرفة، يبدو ذلك الشخص ذكيا ومتقنا للغة الصينية، جادل سيرل بأن التلاعب بالرموز (Syntax) وفقا لكتاب قواعد لا يعني بالضرورة فهم المعنى (Semantics) لأن الشخص الذي داخل الغرفة يرتب الرموز الصينية بناء على تعليمات مكتوبة بالإنجليزية قد ينجح في تقديم إجابات صحيحة لكنه لا يفهم كلمة واحدة مما يراه ويفعله (Searle، 1984).

هذا النقد كشف عن غياب القصدية (Intentionality) في الذكاء الاصطناعي التقليدي، فالتمثيلات التي تستخدمها الآلة ليست عن شيء في العالم الحقيقي بالنسبة لها بل هي مجرد بيانات تتم معالجتها. وقد ظل الاصطناعي حبيس هذا القصور مما أدى إلى دخول الحقل في فترات من الركود عرفت بشتاء الذكاء الاصطناعي نتيجة المبالغة في التوقعات والفشل في تحقيق الفهم الحقيقي.

2-1. المنعطف التوليدي والفضاء الكامن

يمثل الذكاء التوليدي انقلابا معرفيا على البراديغم الرمزي، لأن الآلة في هذا السياق لا تتبع قواعد منطقية صارمة بل تعتمد على الشبكات العصبية (Neural Networks) والتعلم العميق لبناء نماذج احتمالية للعالم.

لعل المفهوم التقني الأكثر إثارة للدهشة في الحقبة التوليدية هو الفضاء الكامن (Latent Space)، وهو ببساطة المساحة الرياضية التي يفهم من خلالها النموذج البيانات المعقدة (مثل الصور أو النصوص) ويقوم بتبسيطها. حيث يقوم النموذج التوليدي بتحويل آلاف البكسلات أو الكلمات إلى إحداثيات في فضاء متعدد الأبعاد. تتجمع المفاهيم المتشابهة في هذا الفضاء (مثل صور القطط) في مناطق متقاربة بناء على خصائصها المشتركة، مما يسمح للذكاء الاصطناعي بفهم جوهر الأشياء بدلا من مجرد حفظها. عند التوليد، يختار النموذج نقطة في هذا الفضاء ويقوم بفك تشفيرها لإنتاج محتوى جديد كليا يعبر عن تلك الخصائص (Foster, 2022).

إن عملية الانتقال من الذكاء الاصطناعي إلى الذكاء التوليدي هو انتقال من الاسترجاع التقليدي إلى التخليق التوليدي، وهنا لم تعد الآلة تبحث عن معلومة مخزنة بل تتجول في فضاء ضخم من الاحتمالات لتوليد بيانات جديدة لم تكن موجودة من قبل في بيانات التدريب بشكلها النهائي. هذا الفضاء الكامن يمثل اللاوعي الخوارزمي الذي تستمد منه المخرجات الإبداعية.

في النموذج التقليدي المدخلات تؤدي حتما إلى مخرجات محددة بناء على الكود البرمجي. في النموذج التوليدي العملية هي تنبؤ إحصائي بالرمز التالي (Next Token Prediction). وقد وصفت إميلي بندر وزملاؤها هذه النماذج بأنها ببغاوات عشوائية (Stochastic Parrots)، فهي قادرة على بناء جمل متماسكة لغويا من خلال رصد التكرارات الإحصائية في بيانات التدريب الضخمة لكن دون أي وصول حقيقي للمعنى أو الحقيقة (Bender & Al., 2021).

إن هذا الوصف رغم طابعه النقدي يسلط الضوء على فجوة معرفية كبرى وهو أن الآلة التوليدية تفتقد للنموذج الذهني للعالم، على سبيل المثال هي تعرف أن كلمة "نار" غالبا ما تأتي إحصائيا بجوار

كلمة "حرق" لكنها لا تعرف حرارة النار. ومع ذلك فإن هذه العشوائية المقننة هي تحديدا ما يسمح بظهور الإبداع الخوارزمي حيث تؤدي الاختلافات الطفيفة في المسارات الاحتمالية داخل الفضاء الكامن إلى إنتاج مخرجات متنوعة ومبتكرة.

2. إبستيمولوجيا الكائن التقني

لا يمكن استيعاب التحول نحو التوليدي دون اللجوء إلى فلسفة التقنية المعاصرة وتحديدا أعمال جيلبرت سيموندون وبرنار ستيغلر اللذين قدما رؤى تتجاوز النظرة الأدواتية السطحية للتقنية.

يرى جيلبرت سيموندون في كتابه "أشكال وجود الكائنات التقنية" (Simondon, 1958) أن التطور التقني ليس مجرد إضافة أدوات جديدة، بل هو عملية"تجسيد (Concretization) تدريجية للآلة، ففي البداية تكون الآلة شيئا مجردا يتألف من قطع منفصلة تؤدي وظائف مستقلة (كأن يكون نظام التبريد معزولا تماما عن المحرك). ومع تطورها تصبح الآلة أكثر تجسيدا وعضوية، حيث تندمج أجزاؤها لتؤدي وظائف متعددة في وقت واحد (كأن يصبح هيكل المحرك هو نفسه وسيلة التبريد). هذا التحول يجعل الكائن التقني أكثر انسجاما وكفاءة، ويخرجه من كونه مجرد أداة صماء ليصبح كيانا متكاملا يمتلك منطقا داخليا يشبه في تطوره الكائنات الحية. إن تطبيق مفهوم "التجسيد" لسيموندون على الذكاء الاصطناعي يعني تحوله من برمجيات مجردة تعتمد على قواعد منفصلة وجامدة، إلى أنظمة متكاملة تشبه الكائنات العضوية في ترابطها. فبينما كانت الأنظمة القديمة تحتاج لأدوات مستقلة لكل مهمة (أداة للغة، وأخرى للمنطق، وثالثة للبيانات) يدمج الذكاء الاصطناعي التوليدي اليوم كل هذه الوظائف داخل الفضاء الكامن، حيث يعمل النسيج الرياضي الواحد على معالجة المعنى والنحو والسياق في آن واحد دون انفصال. هذا الاندماج يجعل الذكاء الاصطناعي كائنا تقنيا متجسدا يمتلك منطقا داخليا منسجما، وتصبح أجزاؤه مترابطة بنيويا وتعمل بتناغم داخلي يشبه الكائنات الحية.

3. أزمة المفاهيم: هلوسة أم إبداع؟

يعد مصطلح "الهلوسة" (Hallucination) من أكثر المفاهيم إثارة للجدل والإرباك في الحقبة التوليدية الراهنة، إذ يضعنا أمام أزمة إبستيمولوجية حقيقية تتجاوز حدود علوم الحاسوب لتلامس

صميم الفلسفة ونظرية المعرفة. إن السؤال المركزي هنا لم يعد مقتصرا على مدى دقة الآلة، بل يتعداه إلى مساءلة جوهرية: كيف يمكننا إعادة تعريف مفهوم "الإبداع" في ظل سيادة آلة تمتلك قدرة فائقة على "الهلوسة" واختلاق عوالم لا مرجعية لها في الواقع المادي؟

1-3. الهلوسة كآلية تخليقية

في الباراديغم الكلاسيكي للهندسة البرمجية، ينظر إلى أي انحراف عن المخرجات المتوقعة بوصفه خطأ تقنيا أو خللا وظيفيا يستوجب التقويم الفوري استنادا إلى المنطق البولياني الصارم. غير أن الانتقال إلى الذكاء الاصطناعي التوليدي يقلب هذه المعادلة رأسا على عقب، فما نصطلح عليه اليوم بـ "الهلوسة" -أي قيام النموذج باختلاق بيانات، أو نصوص، أو أحداث لا أساس لها من الصحة- ليس انحرافا عن مسار العمل، بل هو في حقيقة الأمر الجوهر الميكانيزمي الذي تقوم عليه هذه النماذج (Ji, 2023). إن الخوارزميات التوليدية لم تصمم بنيويا لاحتكار "الحقيقة" أو قول الصدق، بل صممت لتوليد أنماط لغوية أو بصرية تتسم بأعلى درجات "المعقولية" و"الإقناع الإحصائي". هي تملأ الفراغات في فضاءاتها الكامنة بناء على التوزيعات الاحتمالية، مما يجعل "الاختلاق" شرطا وجوديا لقدرتها على إنتاج نصوص جديدة بدلا من استنساخ نصوص سابقة.

لمقاربة هذا التحول الجذري، يبدو من الضروري استدعاء الإطار النظري الذي وضعته الفيلسوفة وعالمة النفس الإدراكي مارغريت بودن (Margaret Boden) حول الإبداع. تقسم بودن الفعل الإبداعي إلى ثلاثة أنماط رئيسية: الإبداع التوافقي أو التجميعي (Combinational) القائم على ربط أفكار متباعدة بطرق غير مألوفة، والإبداع الاستكشافي (Exploratory) الذي يغوص في فضاءات مفاهيمية لاكتشاف إمكانيات جديدة داخل القواعد المقررة، وأخيرا الإبداع التحويلي (Transformational) الذي يكسر القواعد ذاتها ليؤسس لباراديغم جديد بالكامل (Boden, 2006).

عند إسقاط هذا التصنيف على النماذج التوليدية، نجد أنها تظهر براعة منقطعة النظير في النمطين الأول والثاني، فهي قادرة على توليد ارتباطات مذهلة بين مفاهيم شديدة التباعد، واستكشاف الفضاء الكامن بسرعة تتجاوز القدرة البيولوجية للإنسان. هذا يدفعنا إلى صياغة مفهوم جديد يمكن

تسميته بـ "الإبداع الاحتمالي". وهو إبداع ينجح في تحقيق الغاية الجمالية أو التركيبية، لكنه إبداع "أعمى" يفتقد تماما إلى "القصدية" والوعي الذاتي اللذين يميزان الفاعل البشري.

إن الإبداع الإنساني ليس مجرد عملية ذهنية معزولة أو حسابات رياضية مجردة، بل هو فعل متجذر بعمق في السياقات السوسيو-ثقافية والرمزية. المعنى الذي يخلقه الإنسان ينبع من تجربته المعيشة، واحتكاكه بالبنى الاجتماعية، وتفاعله مع الموروث الثقافي، وهو ما يعطيه ثقله الدلالي. في المقابل، يمارس الإبداع الاحتمالي للآلة فعله التخليقي خارج هذا السياق الإنساني، معتمدا على تجريد الأنساق الثقافية وتحويلها إلى مجرد أرقام ومتجهات إحصائية.

بناء على ذلك، فإن الهلوسة الآلية تضعنا أمام مفارقة عميقة: إننا أمام آلة تستطيع أن تبدع مخرجات مذهلة دون أن تفهمها، وتنتج نصوصا تحمل دلالات ثقافية دون أن تعيشها. هذا يحتم علينا عدم الاكتفاء بالرفض التقليدي لمخرجات الآلة، بل الانخراط في تفكيك نقدي لهذه "الجماليات الخوارزمية" لفهم كيف يعيد المدخل التكنولوجي صياغة حدود المخيلة البشرية ذاتها.

2-3. العمل الفني في عصر التوليد الخوارزمي:

يمثل استدعاء الأطروحة التأسيسية للمفكر الألماني والتر بنيامين (Walter Benjamin)، في مقالته الرائدة "العمل الفني في عصر الاستنساخ الميكانيكي" (1935)، مدخلا إبستيمولوجيا حتميا لفهم التحولات العميقة التي يفرضها الذكاء الاصطناعي على الجماليات. لقد جادل بنيامين بأن الاستنساخ التقني للعمل الفني يجرده من "هالته" (Aura)، تلك الهالة التي تتجسد في فرادة العمل، ووجوده الزمكاني الحصري (هنا والآن)، وارتباطه العضوي بسياقه التاريخي والثقافي. وإذا كان عصر الاستنساخ الميكانيكي، كالتصوير الفوتوغرافي والطباعة، قد أدى إلى تآكل هذه الهالة عبر إنتاج نسخ متعددة لأصل فيزيائي واحد، فإننا اليوم نشهد انتقالا راديكاليا نحو عصر التوليد الخوارزمي. في هذا العصر، لم يعد التهديد المعرفي يكمن في تكاثر النسخ، بل في التلاشي التام لمفهوم "الأصل" ابتداء (Benjamin, 2008).

إن النماذج التوليدية لا تقوم بإعادة إنتاج واقع قائم، بل تبتكر واقعا احتماليا يهدد بإغراق الفضاء الإدراكي الإنساني بمليارات المخرجات التي لا تمتلك جذورا وجودية أو تاريخية. هنا، تتقاطع هذه

المخرجات التوليدية بشكل عضوي مع المفهوم الفلسفي للاصطناع والزيف (Simulacra) كما نحته الفيلسوف الفرنسي جان بودريار (Jean Baudrillard). فالصورة المولّدة خوارزميا، أو النص المكتوب آليا، يمثلان التجسيد الأقصى للنسخة التي لا أصل لها، إنها علامة دلالية انفصلت تماما عن أي مدلول فيزيائي أو مرجعية في الواقع المعيش (بودريار، 2008)

في هذا السياق الرقمي البحت، لا تحيل مخرجات الذكاء التوليدي إلى كينونة موجودة في العالم المادي، بل تحيل حصرا إلى قاعدة البيانات الضخمة التي استهلكت في التدريب، وإلى التعقيد الرياضي في الفضاء الكامن. هذا الانفصال يحول الفعل الإبداعي من محاولة لـ "تمثيل" الحقيقة إلى تخليق لواقع فائق (Hyperreality)، حيث تتلاشى تماما الحدود الفاصلة بين الحقيقي والمصطنع. وعليه، فإن العمل الفني الخوارزمي لا يكتفي بفقدان هالته التاريخية، بل يؤسس لجماليات رقمية جديدة قائمة على الوفرة اللامتناهية والتشظي، مجردة من القصدية الإنسانية، ومستندة إلى شرعية إحصائية بحتة تجبرنا على إعادة تقييم علاقتنا بمفاهيم الأصالة، والحقيقة، والوجود ذاته.

4. المآلات الوجودية والسوسيولوجية للذكاء التوليدي

إذا كانت هذه المقالة قد تناولت في محاورها السابقة الأبعاد الإبستيمولوجية (المعرفية) للانتقال نحو الذكاء التوليدي، فإن هذا المحور يطرح التساؤل الوجودي الأهم: إذا كانت الآلة تمتلك اليوم الفاعلية المستقلة لتوليد النصوص، والصور، والنظريات بناء على معالجات إحصائية معقدة، فما هو الموقع الوجودي المتبقي للإنسان؟ هل نحن أمام إعلان نهاية الذات الفاعلة التي تمركزت حولها الفلسفة الإنسانية لقرون؟

4-1. موت المؤلف الرقمي

في عام 1967، أطلق الفيلسوف الفرنسي رولان بارت (Roland Barthes) صيحته النقدية الشهيرة معلنا "موت المؤلف" (بارت، 1999) قاصدا بذلك تحرير النص من سلطة النوايا البيوغرافية (السيرة الذاتية) لكاتبه، وإعلان ميلاد "القارئ" كمنتج نهائي للمعنى. غير أننا اليوم، وفي سياق الثورة الرقمية والتوليدية، نشهد استعادة لهذا المفهوم وتطبيقه، لكن بقطيعة وجودية أشد جذرية: نحن لا نتحدث

عن فصل النص عن نوايا المؤلف، بل نتحدث عن نص بلا مؤلف بالمعنى الأنثروبولوجي للكلمة. إن النص التوليدي يخلو تماما من "القصدية" التي تعد الشرط الفينومينولوجي (الظاهراتي) الأبرز للوعي البشري.

يضعنا هذا التحلل أمام مأزق مفاهيمي وقانوني وأخلاقي عميق: من هو المالك الحقيقي أو "المؤلف" للنص أو اللوحة التي يولدها الذكاء الاصطناعي؟ هل هو المستخدم النهائي الذي هندس وصاغ "الأمر" أو "الملقن"؟ أم هي الشركة التقنية التي صممت المعمارية الخوارزمية ودربت النموذج؟ أم هم ملايين البشر من كتاب، وفنانين، ومدونين، وباحثين، الذين تم "كشط" إنتاجاتهم الفكرية وتجريدها من حقوقها لسحبها في أمعاء قواعد البيانات الضخمة التي تغذي هذه النماذج؟

في هذا الباراديغم التوليدي، لم يعد الإبداع فعلا فرديا، رومَانسيا، نابعا من معاناة العبقرية المنعزلة، بل تحول إلى ما يمكن تسميته بـ "الإبداع الجمعي المؤتمت" (Automated Collective Creativity). لقد تحلل المؤلف الفرد ولم يمت بصمت، بل تفتت وتفكك إلى مليارات من البيانات الجزئية المتناثرة في الفضاء الكامن. لا تخلق الآلة من العدم، بل تقوم بعملية إعادة تدوير إحصائية لرفات إبداعي بشري هائل (Manovich, 2018).

وأمام هذا التحلل لمفهوم المؤلف التقليدي، يصعد إلى السطح دور إنساني جديد يمثله "القيم" (Curator) أو "الموجه" (Director). الإنسان في عصر الذكاء التوليدي لم يعد هو الصانع المباشر للمبنى اللغوي أو اللوني، بل أصبح هو المايسترو الذي يدير "الاحتمالات" (Groys, 2016) إن عملية هندسة الأوامر (Prompting) لا تشبه الكتابة التقليدية، بل تشبه عملية الحفر والتنقيب في أرشيفات الاحتمالات الرياضية لاستخراج المعنى. دور الإنسان انزاح من التأليف إلى الانتقاء، ومن احتكار الإجابة إلى صياغة السؤال الدقيق الذي يوجه الهلوسة الآلية نحو غاية معرفية منضبطة.

2-4. الاقتصاد السياسي للبنية التحتية

ومع صعود دور "القيم" أو "الملقن" كفاعل مركزي، يبرز مأزق سوسيولوجي واقتصادي بالغ الخطورة يتم تغييبه عمدا في الخطاب التقني المهيمن، وهو "الاقتصاد السياسي للعمل الرقمي". فلكي تبدو الآلة التوليدية مستقلة، وذكية، وقادرة على إنتاج المعنى بسلاسة، فإنها تعتمد في الكواليس على

جيش ضخم من العمال البشر، وهو ما تصطلح عليه الباحثة الأنثروبولوجية ماري غراي بـ "العمل الخفي (Gray & Suri, 2019) يتركز هذا الجيش العمالي غالبا في دول الجنوب العالمي، وتسند إليه مهام وسم البيانات، وتنقية المحتوى، وتدريب الخوارزميات وتصحيح انحرافاتها.

ولا يتوقف الاقتصاد السياسي للذكاء التوليدي عند حدود استغلال "العمل الخفي" لبروليتاريا الجنوب، بل يمتد إلى مستوى وجودي أعمق يتعلق باحتكار البنية التحتية. إن الخطاب التقني السائد يحاول إقناعنا بأن الفضاء الكامن هو مجرد مساحة رياضية مجردة ومحايدة، غير أن المقاربة السوسيولوجية النقدية تكشف أنه في واقعه المادي حيز مملوك بالكامل ويخضع لهيمنة احتكارية من قبل أقلية من شركات التكنولوجيا الكبرى. هذه النماذج لا تعمل في أثير لا مادي، بل تعتمد على بنية تحتية حوسبية هائلة -من خوادم عملاقة ومراكز بيانات تستهلك طاقة ضخمة- لا تملكها سوى كيانات رأسمالية عابرة للقوميات.

يفكك المنظر "نيك سرنيسيك (Nick Srnicek) "هذه الحالة في أطروحته حول "رأسمالية المنصات"، مشيرا إلى أن هذه الشركات لم تعد مجرد مزودي خدمات، بل تحولت إلى ملاك للبنية التحتية الأساسية التي يعتمد عليها المجتمع في إنتاج المعرفة، مما يمنحها سلطة احتكارية لتوجيه التفاعلات وتشكيل الواقع .(Srnicek, 2016) وفي السياق ذاته، يرى الفيلسوف "ماتيو باسكينيلي " (Matteo Pasquinelli)أن الذكاء الاصطناعي ليس سوى تجسيد تكنولوجي لتقسيم العمل، حيث تقوم الآلة بأتمتة العقل العام ومصادرته لصالح تراكم رأس المال (Pasquinelli, 2023).

بناء على هذا التأسيس، يصبح من الواضح أن الاحتمالات التي يولدها الفضاء الكامن ليست بريئة أو ناتجة عن صدفة إحصائية بحتة، بل هي احتمالات موَجهة ومهندسة لتتطابق مع المصالح الإيديولوجية والتجارية لرأس المال المهيمن. إن الخوارزمية التي تضبط لتعظيم التفاعل، أو لترويج معايير جمالية واستهلاكية معينة، تمارس شكلا متقدما وممأسسا من العنف الإبستيمولوجي. فهي لا تعيد تدوير الرفات الإبداعي البشري فحسب، بل تعيد هندسة مفهوم الحقيقة ذاته بما يخدم منطق السوق. وبهذا، يتحول الذكاء التوليدي من مجرد أداة تخليقية إلى جهاز أيديولوجي فائق النعومة، يعيد إنتاج علاقات الهيمنة الرأسمالية ويرسخ المركزية الغربية تحت غطاء الحتمية الرياضية والحياد التكنولوجي.

إن أسطورة "الآلة المستقلة" تتأسس فعليا على استغلال طبقي معولم، فبينما يحتكر مستخدمو الشمال العالمي دور "القيم" الذي يمارس الترف الإبداعي وصياغة الأوامر، يقبع عمال الجنوب في قاع السلم الرقمي، يمارسون عملا مكررا، منخفض الأجر، ومجردا من أي حقوق أو اعتراف. هذا التقسيم الدولي الجديد للعمل يعيد إنتاج علاقات الهيمنة الكلاسيكية بواجهة خوارزمية حديثة. بالتالي، فإن "موت المؤلف" لم يفضِ فقط إلى صعود القيم، بل أدى إلى استيلاد بروليتاريا رقمية تستنزف طاقتها يوميا لتغذية الفضاء الكامن، مما يضمن للآلة احتفاظها بهالتها السحرية والمصطنعة ككائن مبدع ومستقل.

3-4. تسطيح الثقافة

إن انتقال الفاعلية الإبداعية إلى الآلة لا يحمل فقط تداعيات على مستوى الفرد، بل يمتد ليشكل تهديدا أنثروبولوجيا حقيقيا للبنى الثقافية الكبرى .يطرح المنظر الرقمي ليف مانوفيتش (Lev Manovich) في مقاربته لجماليات الذكاء الاصطناعي (AI Aesthetics) فكرة بالغة الأهمية، وهي أن هذه الخوارزميات تمتلك، بحكم تكوينها البنيوي، ميلا رياضيا حتميا نحو الأنماط الأكثر شيوعا وتكرارا (Manovich, 2018).لفهم خطورة هذا الطرح، يجب تفكيك الآلية التي تعمل بها النماذج التوليدية .إن هذه النماذج تقوم على تقليل هامش الخطأ والبحث عن المخرجات الأكثر احتمالية للظهور في سياق معين .هذا التوجه الاحتمالي يعني بلغة الإحصاء الانحدار نحو المتوسط الإحصائي، بعبارة أخرى، الذكاء التوليدي يكافئ المألوف، والشائع، والمكرر، ويعاقب ويقصي الشاذ، والنادر، والاستثنائي، معتبرا إياه مجرد ضجيج إحصائي يجب تصفيته وتنعيمه لإنتاج مخرجات متسقة.

يؤدي هذا الانحياز الخوارزمي الصامت إلى ظاهرة كارثية من المنظور الأنثروبولوجي والسوسيولوجي، وهي "تسطيح الثقافة، عندما تتدرب الخوارزميات بشكل مكثف على قواعد بيانات تعكس في غالبيتها الساحقة هيمنة المركزية الغربية وثقافات الشمال العالمي، فإنها تبدأ في فرض معيارية قسرية تلغي التنوع الإنساني.

وفي هذا السياق، لا يمكننا مقاربة الفضاء الكامن بوصفه فراغا رياضيا محايدا أو موضوعيا، بل هو في جوهره انعكاس وتجسيد لرأس المال الثقافي المهيمن. إن البيانات الضخمة التي تدرب عليها هذه

النماذج التوليدية تنحدر في أغلبيتها الساحقة من سياقات المركزية الغربية، مما يجعل المنطق الخوارزمي متورطا في إعادة إنتاج بنيوية لثقافة محددة. وهنا، تكتسب السوسيولوجيا النقدية لبيير بورديو راهنية قصوى، فالآلة التوليدية عبر ميلها الإحصائي للانحدار نحو المتوسط، تمارس شكلا آليا وفائق التعقيد مما أسماه بورديو بـ "العنف الرمزي" الذي عرفه بأنه القدرة على فرض معانٍ معينة وفرضها كمعانٍ شرعية، مع إخفاء علاقات القوة التي تكمن وراء هذا الفرض (بورديو وباسرون، 1993) إن النماذج التوليدية، بتقديمها لمخرجاتها النمطية كمعيار جمالي ومعرفي مقبول، تقوم فعليا بأتمتة "الهابيتوس" المهيمن -أي تلك "الاستعدادات المهيكَلة والمهيكِلة" للفهم والسلوك وتعميمه رقميا. هذا التطبيع الخوارزمي يؤدي حتميا إلى تهميش السرديات المحلية، حيث تعامل الخصوصيات السوسيولوجية الدقيقة كمجرد "شذوذ إحصائي "يجب إقصاؤه ليتطابق المخرج النهائي مع قوالب الهيمنة الإبستيمولوجية.

وتتجلى هذه الإشكالية بوضوح سوسيولوجي وأنثروبولوجي عند فحص كيفية معالجة النماذج التوليدية للثقافة المادية واللامادية غير الغربية، ولنأخذ كنموذج موضوع الفنون الإسلامية وتحديدا الزخرفة الهندسية والنباتية (الأرابيسك). فهذا الفن في واقعه الوجودي والسوسيولوجي لا يمثل مجرد تقاطع عشوائي لخطوط وأشكال هندسية لغرض التزيين البصري، بل يحمل في طياته ثقلا كونيا ووجوديا، حيث يمثل كل امتداد هندسي لا نهائي أو تداخل نباتي تجسيدا بصريا لمفهوم التوحيد، وانعكاسا لفلسفة تنزيه الخالق عن التجسيد المادي، ومسعى لتوجيه العقل نحو التأمل الروحي. ولكن، عندما نطلب من النماذج التوليدية توليد محاكاة لهذا الفن، فإنها تعجز تماما عن استدعاء هذا الثقل الفلسفي. بدلا من ذلك، يقوم الفضاء الكامن بعملية تلفيق بَصَري دامجا هذه الأنساق الرياضية والروحانية شديدة الخصوصية ضمن قوالب فلكلورية استهلاكية، أو محتويات بصرية استشراقية مسطحة (كربطها الآلي والنمطي بأجواء سحرية كليالي ألف ليلة وليلة)، لتفرغها من أي دلالة سيميائية أصلية.

هذا التجريد الخوارزمي لا يحدث مصادفة، بل يندرج ضمن ما يصفه السوسيولوجيان نيك كولدري وأوليسيس ميخياس بـ "الاستعمار بالبيانات"حيث يجادلان بأن التكنولوجيا المعاصرة تمارس شكلا جديدا من أشكال الاستحواذ، لا يستهدف الأرض أو الموارد الطبيعية كما في الاستعمار الكلاسيكي، بل يستهدف حياة الإنسان وثقافته، ليتم تجريد الثقافات المحلية من سياقها المعيشي وتحويلها إلى مجرد بيانات خام قابلة للتسليع والاستهلاك المعولم (Couldry & Mejias, 2019).

وفي السياق ذاته، تفكك الباحثة كيت كروفورد في كتابها "أطلس الذكاء الاصطناعي" هذه الآلية، مؤكدة أن قواعد البيانات الضخمة التي تتدرب عليها هذه النماذج ليست محايدة أو موضوعية، بل هي بنى مشبعة بعلاقات القوة والهيمنة. وتوضح كروفورد أن عملية التصنيف والوسم التي تخضع لها البيانات الثقافية قبل إدخالها للنماذج التوليدية، تمارس عنفا إبستيمولوجيا يقصي المعاني الدقيقة والعميقة للمجتمعات المهمشة، لصالح رؤية كونية أحادية تفرضها المراكز التقنية المهيمنة (Crawford, 2021). وبالتالي، فإن الآلة هنا لا تبدع تراثا إسلاميا أو محليا، بل تعيد إنتاج الهيمنة الثقافية عبر طمس السرديات الأصلية وتحويلها إلى مجرد ضجيج إحصائي يخدم الاستهلاك السريع.

إن الخطر الأكبر للنماذج التوليدية لا يكمن في كونها آلات صماء، بل في كونها آلات تفرض "عنفا إبستيمولوجيا" (بورديو و وباسرون، 1993) حيث تقوم بتهميش الثقافات المحلية، وإسكات السرديات الهامشية، وطمس الفروق الدقيقة التي تصنع الغنى الإنساني، لصالح إنتاج ثقافة عالمية معيارية آمنة، ومسطحة، وسهلة الاستهلاك .وعليه، فإن المآل الوجودي الأهم الذي يجب أن يشغلنا في حقل العلوم الإنسانية والاجتماعية ليس القلق من تفوق الآلة، بل الانتباه إلى دورنا كحراس للمعنى. إن مسؤولية الباحث والمثقف اليوم تكمن في مقاومة هذا التسطيح الخوارزمي، والدفع نحو هندسة أدوات توليدية لا تكتفي باستنساخ المتوسط الإحصائي المهيمن، بل تمتلك الحساسية المعرفية الكافية لاحتضان التعددية، والتعقيد، والعمق الأنثروبولوجي الذي يميز التجربة الإنسانية بكل تجلياتها الثقافية.

4-4. التحولات المؤسساتية: أزمة الجامعة ومراكز البحث

إن دعوة هذه الورقة للباحثين لممارسة المقاومة الإبستيمولوجية تظل قاصرة إن لم تترافق مع وعي عميق بالتحولات التي تعصف بالبنية المؤسساتية ذاتها. تاريخيا، احتكرت الجامعة ومراكز البحث سلطة إنتاج المعرفة ومنحها الشرعية الأكاديمية. غير أن الذكاء التوليدي يحدث تصدعا جذريا في هذا الاحتكار. لقد تنبأ الفيلسوف جان فرانسوا ليوتار (Jean-François Lyotard) في أطروحته الرائدة "الوضع ما بعد الحداثي" بما أسماه "خارجية المعرفة"، حيث تفقد المعرفة قيمتها الاستعمالية كتكوين للعقل، لتتحول إلى مجرد سلعة معلوماتية تنتج وتدار آليا خارج سيطرة الباحث والمؤسسة (Lyotard, 1979). واليوم، يتجسد هذا التنبؤ واقعا، إذ تجد المؤسسات الأكاديمية نفسها مجبرة على الانزياح التدريجي من دور المنتج للمعرفة إلى دور المدقق أو المنقح لفيض إحصائي تنتجه آلات تمتلك قدرة استيعابية تفوق قدرة الأقسام الأكاديمية مجتمعة.

هذا الانزياح يضع مؤسسات إنتاج المعرفة -وبالأخص مراكز البحث في الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية والإنسانية- أمام فخ التبعية الإبستيمولوجية. فعندما تعتمد هذه المراكز على البنى التحتية الخوارزمية لشركات التكنولوجيا الكبرى لمعالجة بياناتها الميدانية، أو أتمتة مراجعاتها الأدبية، فإنها تقع ضحية لما تسميه الباحثة في سوسيولوجيا التعليم العالي، جانيا كوملينوفيتش(Janja Komljenovic) ، بـ "الريع الأكاديمي الرقمي، حيث تتحول الجامعة أو المركز البحثي من فاعل سيادي مستقل إلى مجرد مستأجر للبنية التحتية الإدراكية التي تملكها المنصات التجارية، مما يفقد المؤسسة استقلاليتها المنهجية ويخضع أجنداتها البحثية، بشكل خفي، لمنطق السوق المعولم وللتحيزات الخوارزمية (Komljenovic, 2021).

وتأسيسا على ذلك، فإن مسؤولية الباحث والمثقف كحراس للمعنى لا يجب أن تختزل في الجهد الفردي، بل تتطلب استراتيجية مؤسساتية شاملة لمواجهة الاستشراق الرقمي وتسطيح الثقافات .إن قيادة وإدارة المراكز البحثية المتخصصة في دراسة الظواهر الاجتماعية مدعوة اليوم لتجاوز دورها الكلاسيكي، وتأسيس سيادة معرفية رقمية. يتحقق ذلك عبر بناء قواعد بيانات إثنوغرافية وسوسيولوجية محلية ومستقلة، تستخدم لتدريب نماذج مفتوحة المصدر تستوعب خصوصية التراث والسياق المجتمعي. كما يفرض هذا التحول على المؤسسات الأكاديمية ابتكار قنوات حديثة ومسموعة لنقل هذا الخطاب النقدي من قاعات المحاضرات المغلقة ليربط العلم بالمجتمع، ولإعادة توجيه النقاش العام حول أخلاقيات التقنية وحماية السرديات المحلية من الاستلاب الخوارزمي.

خاتمة: نحو أنسنة التوليد المعرفي واستعادة السيادة المؤسساتية

وفي الأخير، تكشف هذه القراءة الإبستيمولوجية والسوسيولوجية أن الانتقال المفهومي من الذكاء "الاصطناعي" إلى "التوليدي" لا يمثل مجرد ترقية أداتية في البنية الخوارزمية، بل يؤسس لتموضع وجودي جديد للآلة. إنها تتحول من مجرد أداة وظيفية صماء لتنفيذ الأوامر، إلى شريك إبستيمولوجي فاعل، يمتلك قدرة تركيبية هائلة على سبر أغوار الفضاءات الكامنة، وتوليد احتمالات وأنماط تتجاوز القدرة الاستيعابية المنفردة للعقل البشري.

وعليه، فإن الرهان المعرفي الذي يواجهنا اليوم في حقل العلوم الاجتماعية والإنسانية لا يكمن في الرفض الدونكشوتي لهذه القدرة التوليدية الفائقة، بل في ضرورة التأسيس لإطار نقدي صارم يفكك احتكار البنية التحتية لشركات التكنولوجيا الكبرى، ويقاوم أشكال الاستعمار بالبيانات. شمن إطار

يضمن سيادة الإنسان بوصفه المانح الوحيد للمعنى والحارس للسياق الثقافي، في مواجهة طوفان النماذج الاحتمالية المجردة التي تتدفق من الآلة وتدار بمنطق السوق.

إن مسؤوليتنا كباحثين تتضاعف في هذا العصر الرقمي، فلم يعد دورنا مقتصرا على دراسة الظواهر في الميدان، بل يمتد إلى ممارسة المقاومة الإبستيمولوجية ضد الاستشراق الرقمي وتسطيح الثقافات. غير أن هذه المقاومة لا يجب أن تبقى حبيسة الجهد الفردي (كفعل للمؤلف أو الملقن)، بل تتطلب يقظة مؤسساتية عاجلة داخل الجامعات ومراكز البحث السوسيولوجي والأنثروبولوجي. نحن مطالبون بتجاوز فخ التبعية الإبستيمولوجية وتأسيس سيادة معرفية رقمية تحمي سردياتنا المحلية وتراثنا -بكل حمولته الكونية والوجودية- من مقصلة التنميط.

إننا مدعوون اليوم للانتقال من حالة الانبهار التقني الساذج إلى ممارسة مساءلة وجودية لجوهرنا الإنساني: ما الذي يجعلنا كائنات مبدعة حقا؟ هل تكمن القيمة في "المنتَج النهائي" الذي باتت الآلة قادرة على محاكاته بكفاءة إحصائية مذهلة، أم في "العملية الشعورية"، والقصدية الواعية، والمكابدة الوجودية التي تسبق هذا المنتج وتمنحه روحه وارتباطه بالبنى المجتمعية؟

إن مشروع أنسنة التوليد يبدأ تحديدا حينما ندرك أن الآلة، مهما تعاظمت قدرتها على احتكار الفضاء الكامن وهندسة الاحتمالات، تظل فاقدة للقصدية. فالآلة قد تتقن هندسة الإجابات المتوقعة والمألوفة، لكن الإنسان - والباحث النقدي والمؤسسة الأكاديمية على وجه الخصوص - هو وحده من يمتلك قلق المعرفة، وعمق السياق، وحكمة السؤال.

قائمة المراجع:

ب بورديو، و ج. ك باسرون. (1993). إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم. (ت: ماهر تريمش)، الدار البيضاء، المغرب: المركز الثقافي العربي.

بارت, ر .(1999) .هسهسة اللغة، (ت: م. عياشي)، مركز الانماء الحضاري.

غاستون باشلار. (1981). تكوين العقل العلمي. (ت: أحمد خليل خليل) بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بودريار، ج .(2008) .المصطنع والاصطناع . (ت: ع. ا. جوزيف)، بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

فلوريدي، ل. (2017)الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني. (ت: ل. السيد)، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

Abdoul, S. (2025). *L'Intelligence Artificielle : révolution industrielle ou changement de paradigme scientifique?* . . Consulté le 02 2026, sur Philosophie, Science et Société.: https://philosciences.com/ia-science-industrie

Bender, E. M.-M. (2021). On the dangers of stochastic parrots: Can language models be too big? *ACM Conference on Fairness, Accountability, and Transparency*, (pp. 610-623).

Benjamin, W. (2008). *The work of art in the age of mechanical reproduction* . Penguin Books.

Boden, M. A. (2006). *Mind as machine: A history of cognitive science.* Oxford University Press.

Couldry, N., & Mejias, U. (2019). *The Costs of Connection: How Data Is Colonizing Human Life and Appropriating it for Capitalism.* Stanford University Press.

Crawford, K. (2021). *Atlas of AI: Power, Politics, and the Planetary Costs of Artificial Intelligence.* Yale University Press.

Foster, D. (2022). *Generative deep learning: Teaching machines to paint, write, compose, and play.* O'Reilly Media.

Gray, M., & Suri, S. (2019). *Ghost work: How to stop Silicon Valley from building a new global underclass.* Houghton Mifflin Harcourt.

Groys, B. (2016). *In the flow.* Verso Books.

Ji, Z. (2023, December). Survey of Hallucination in Natural Language Generation. *ACM Computing Surveys*, *55*(12), 1-38.

Komljenovic, J. (2021). The rise of education rentiers: digital platforms, digital data and rents. *Learning, Media and Technology*, *46*(3), 320–332.

Lyotard, J.-F. (1979). *La Condition postmoderne Rapport sur le savoir.* Les Editions Minuit.

Manovich, L. (2018). *AI aesthetics.* Strelka Press.

Pasquinelli, M. (2023). *The Eye of the Master: A Social History of Artificial Intelligence.* New York: Verso Books.

Searle, J. (1984). *Minds, brains and science.* . Harvard University Press.

Simondon, G. (1958). *Du mode d'existence des objets techniques.* Paris: Aubier.

Srnicek, N. (2016). *Platform Capitalism. Polity Press.*

Turing, A. M. (1950, October).Computing machinery and intelligence. *Mind, LIX*(236), 433–460.